Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رثاء زوجها مرداس ، وبعد موت معاوية رثته ببضع قصائد كانت أطول من مقطوعاتها السابقة ، واحداها بلغت الثلاثين بيتا ، ولكون قصائدها وصلت إلينا غير محددة الموضوع أو التوقيت فقد كان تحديدها مجرد استنتاج من دراسة موضوع القصيدة وما ورد فيها من أسماء أو صفات تشير إلى المعنى بها ، وتتراوح تقديرات الباحثين لقصائدها فى معاوية بين أربع وست قصائد ، يرجح أنها قالتها قبل موت صخر ، أما حين مات صخر ، فلا يكاد الرواة يختلفون فى أنها قصرت شاعريتها كلها على رثائه ، وآلت على نفسها مسجلة هذا القسم فى شعرها ألا تبكى على هالك بعده ، فكأنها عطلت شاعريتها فيما عداه ، كما عطلت أنوثتها ومظهرها كليهما ، فلم تبد منها فى موقف نط إلا عاطفة الحزن عليه ، حتى عاطفة الأمومة وهى غريزة لم تبد منها فى موقف أبدا ولو كان موقف موت كل بنيها كما حدث ، وأما مظهرها فقد التزمت الحداد فى أقسى صورة الجاهلية حتى الموت ، حليقة الرأس ، تلبس صداراً من الشعر ، ولسنا فى حاجة لى إعادة التعجب من الغرابة الشديدة فى الموازنة بين موقفها من موت أخيها الشقيق معاوية ، وأخيها غير الشقيق ، بينما لا تحدثنا رواية واحدة أن معاوية أو أحدا من بنيها ان عاقا لها ، أو سيء الصلة بها ، أو لم يكن براً كريما معها ، حتى يصبح تعليل حزن لخنساء على صخر بأنه كان برا بها فيكون فى أدنى درجة من درجات الاستساغة ، على ن الوفاء لم يؤلف فى الناس بهذه الدرجة ، ولا بدونها ، بل ألف الناس نكران الجميل ن يسدى إليهم الجميل ، ومقابلة الإحسان بالسوء ، حتى اشتهرت هذه الحكمة (اتق ر من أحسنت إليه) ولو فهم العرب أن هذا الصنيع من الخنساء كان وفاء لضرب بها ل فى الوفاء ، كما ضربوا المثل بالسموأل بن عادياء ، ولكنهم لم يفعلوا ، بل ولم حدثوا بأن صنيع الخنساء كان خلة وفاء فيها .

على أن هناك أمرًا لا يخلو من غرابة يقتضى وقفة غير عجلى ، وهو أن الروايات ق على أن صخرا عاش بعد طعنته التى مات منها عاما أو أكثر من عام طريح الفراش ، الحياة والموت ، أو فى حال كانت أسوأ من الموت ، ومعنى ذلك أن الموت كان ر حة له مما هو فيه ، والخنساء لم تكن حينئذ فى قبيلة أخرى ، أو فى إقليم آخر ، وإنما ك ت فى الحى نفسه ، ترى ألمه الموجع ، وأنينه المفزع ، ومع ذلك فلم تحدثنا رواية و حدة فيما أعلم أنها قالت بيتا واحدا من الشعر يعبر عن حاله هذه ، أو عن حزنها وألمها لما عانيه ، ولو تحدثت الروايات بهذا لقلنا إن هذا الشعر سقط فى تداول الرواة لشعرها